

## تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية (دراسة وصفية تحليلية مقارنة)

د. عماد كنعان

عضو الهيئة التعليمية \_ كلية التربية الثالثة

جامعة دمشق

**ملخص:** هدفت الدراسة إلى تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي عبر أداتي الاستقراء والاستنتاج للتعرف على منهج السنة النبوية في تقويم وتعزيز مسار التعلم؛ ومن ثم شرع بمقارنته بمفهوم مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في المنظور التربوي؛ وذلك بالاعتماد على منهج بحثي يقوم على التوثيق للأدلة الشرعية ومن ثم تحليلها لتحديد مبادئ التعلم المعتمدة فيها وإظهار القيم التربوية المنبثقة عنها؛ ومن ثم التعريف بأهم نقاط المشكلة والتميز فيما بين الفكر التربوي الإسلامي والتربوي المعاصر. وخلصت الدراسة إلى أن مبدأ التغذية الراجعة التعليمي قد استخدم في السنة النبوية بأنماط متعددة؛ وأوصت الدراسة بالإفادة من منهج التأصيل الذي اعتمده والعمل على تطويره بغية إنجاز دراسات توثق ثراء وسبق الفكر التربوي الإسلامي في إرساء مبادئ في التعلم وطرائق في التعليم تعددت أساليبها وتنوعت غاياتها.

## Education In the Principle in Backfeed Consolidating the Light of Holly Quran Learning Principles

**Abstract:** The study aims at consolidate the principle of reinforcement in education under the auspices of learning principles of al sonn h al nabaueh

The investigator does his study through the descriptive analytic method using inference and induction tools to identify the method of evaluation and reinforcement in the learning process that are taken from the al sonn h al nabaueh teachings.

After that he starts the comparison of the principle of reinforcement in education from the educational point of view using the means of a researching method that is based on documenting then analyzing the legal evidences to identify the learning principles adopted by it and to show the educational values emerging from it and to define points of contrast and differentiation between modern educational thought and the modern Islamic education thought.

The study concludes that the principle of reinforcement in education has been used by al sonn h al nabaueh in different manners. And it says to benefit from the method of consolidation that it uses and to work to improve it aiming at achieving studies that proves that the Islamic educational thought has been precursor in establishing principles and methodologies in teaching that have various methods and numerous aims.

1-المقدمة:

تتعهد الدول اليوم على اختلاف فلسفاتها التربوية بالعمل على تسويق ثقافة التلاحق بين الحضارات في سبيل تحقيق التعاقد والتعاون بين البشر جميعا باعتباره التأمين الأمل على الأرواح؛ والمقدرات وأيضاً من أجل الانتهاء إلى التقدم المنشود عبر الإفادة من تجارب الآخر وإنجازاته. وهذا الفكر المنتور الإيجابي تقره الشريعة الإسلامية وتدعو إلى ممارسته؛ وذلك شريطة أن يكون محصناً بضوابط المحافظة على القيم والأحكام الإسلامية الراسخة.

وإن هذا الاستثمار العالمي الراجح بدرجة امتياز لم تتأ عن الانتفاع من قطوفه الدانية المدارس التربوية العربية بشكل عام؛ حيث راحت المكتبات التربوية العربية تزخر بالترجمات التي تنقل أهم ما خلصت إليه الدراسات والأبحاث التربوية في شتى أنحاء العالم.

هذا وقد ظهرت في مقابل هذا التفاعل البناء مع هذا الحصاد العالمي الطيب دعوات توجه إلى ضرورة التفاعل القائم على مبدأ التأثير و التأثير مع تلك الترجمات المختلفة؛ وذلك من خلال الإفادة منها بما لا يتعارض أو يضر بهوية الأمة العربية أو يطمس معالم تاريخها الأصيل من جهة؛ عبر تشذيب و تنقية مضامينها المعرفية مما يمس بالتنشويه و التبيد ثقافة الأمة على تنوع أشكالها؛ و مما لا يتلاءم مع خصوصية بيئتها التعليمية وقدرات أبنائها و ميولهم؛ ومن جهة أخرى عبر الاستعانة بتلك الفتوحات التربوية بهدف تصميم بوابة عريضة للبحث في نفائس التراث التربوي العربي الإسلامي الذي تنتشر في خبايا ميراثه فلسفات و نظريات تربوية متعددة؛ و مبادئ تعلم و طرائق تدريس متنوعة. (العبدلي، 2008، 9).

إن التأسيس التربوي الإسلامي كان أحد طرق التفاعل القويمة مع نتائج المدارس التربوية الحديثة؛ حيث نشرت أعداد كثيرة من الدراسات التربوية العلمية التي تظهر وجود تقارب كبير بين العديد من مبادئ التعلم و طرائق التدريس التي تنادي بها التربية المعاصرة وما تتضمنه المكتبة العربية الإسلامية من مؤلفات في التربية و التعليم (الحربي، 1997، 11).

وتوجه الدراسة الحالية نحو تقديم تأسيس تربوي إسلامي لمبدأ التغذية الراجعة التعليمي الذي يشكل: (أهم عامل من عوامل الاتصال، والتعليم، والتعلم، بل من أهم عوامل توازن الأنظمة وإعادة الاستقرار إليها، وجعلها مستمرة وملائمة لنجاح النظام في تحقيق أهدافه، بل هي أهم عامل في التعلم، لأنه يبني التعلم ويقوده تدريجياً نحو الإتقان» (القالا، 1993، 19).

وقد كان مبدأ التغذية الراجعة بسبب أهميته محورا رئيسا للكثير من الدراسات النظرية و الأبحاث التجريبية؛ فقد سعت دراسة روبرتا وآخرون (Roberta 2003) et al، والتي جاءت تحت

## تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية

عنوان : «دور التغذية الراجعة في أثناء الاختبارات الأكاديمية» إلى التعرف على أثر بعض أنماط التغذية الراجعة في نتائج الاختبارات التحصيلية. حيث قام فريق البحث بتصميم اختبار تحصيلي نهائي مكون من (50) مفردة منها (10) مفردات منتقاة من امتحانات سابقة تم قياس أثر أنماط التغذية الراجعة المستخدمة في البحث من خلالها. وأظهرت النتائج التي توصل إليها الباحثون تفوق الأفراد الذين تلقوا نمط التغذية الراجعة الفورية على أقرانهم الذين تلقوا نمط التغذية الراجعة المؤجلة (حسن، 2004، 61-62).

كما خالص **صوالحة (1988):** في دراسته: «أثر بعض استراتيجيات التغذية الراجعة في تعلم مفاهيم علمية لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي في الأردن». على عينة ضمت (150) طالباً؛ إلى ارتفاع مستوى تحصيل المتعلمين الذين تم تزويدهم بأنماط التغذية الراجعة الإعلامية والتصحيفية والتعزيزية.

وفي دراسة جاءت تحت عنوان: «أثر التغذية الراجعة على التعلم بالإتقان والدافعية الداخلية لدى طالبات المرحلة الإعدادية». للباحثة **حصّة سلمان حسن (2004)**؛ والتي هدفت إلى معرفة أثر التغذية الراجعة في الإتقان وزيادة الدافعية الداخلية في مادة اللغة العربية لدى الطالبات؛ والتي استخدمت لإنجازها أدوات متعددة (اختبار ذكاء الشباب المصور. مقياس المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة. استبانة الدافعية الداخلية للدراسة. مقياس الأفعال المدركة في حجرة الدراسة. مقياس الانفعالات المدركة في حجرة الدراسة) انتهت الباحثة إلى وجود تأثير للتغذية الراجعة في التعلم بالإتقان في مادة اللغة العربية.

وفي دراسة للباحث **عماد كنعان (2007)** أنجزت تحت عنوان «أثر بعض أنماط التغذية الراجعة في التحصيل والاتجاه»؛ والتي توجهت نحو الوقوف على أثر بعض أنماط التغذية الراجعة في رفع مستوى التحصيل الدراسي وفي اتجاه أفراد المجموعات التجريبية نحو أنماط التغذية الراجعة المستخدمة في البحث. والتي نفذت على عينة تألفت من (98) طالباً وطالبة؛ باستخدام الأدوات الآتية:

- اختبار تحصيل قبلي/ بعدي/ مؤجل لقياس أثر أنماط التغذية الراجعة الإعلامية / الإعلامية والتصحيفية/ الإعلامية والتفسيرية في رفع مستوى التحصيل الدراسي.
- استبانته اتجاه أفراد المجموعات التجريبية نحو أنماط التغذية الراجعة المستخدمة في البحث.

## د. عماد كنعان

انتهى الباحث إلى فاعلية أنماط التغذية الراجعة (الإعلامية / الإعلامية والتصحيحية / الإعلامية والتفسيرية) في رفع مستوى التحصيل الدراسي؛ وإلى استحسان ورضا المتعلمين عن أنماط التغذية الراجعة المقدمة إليهم.

وبناء على ما تم ذكره من أهمية الإفادة من النتائج المعرفي القِيم للمدارس التربوية المعاصرة؛ وفي ضوء ضرورة لزوم الاجتهاد في سبيل إظهار مكانته ومستوى حضوره في التراث التربوي الإسلامي؛ يأمل الباحث تقديم دراسة تحليلية تأصيلية مقارنة تبين ماهية مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في المنظورين التربوي والإسلامي وتوضح بعض إجراءات البحث التربوي الإسلامي القائم على التأصيل والمقارنة.

### 2- مشكلة البحث:

وقف الباحث في إثر استعراض هادف ومثانٍ لعدد من الدراسات والأبحاث التي وظفت بغية الكشف عن أهم مبادئ التعلم وطرائق التدريس التي يطرحها الفكر التربوي الإسلامي على الملاحظات الآتية:

ـ إنجاز عدد من الدراسات والأبحاث التي تتشد تأصيل أهم مبادئ التعلم وطرائق التدريس التي تطالعنا بها المدارس التربوية الحديثة من قبل باحثين متخصصين في الدراسات الإسلامية كالعقيدة والفقهاء والتفسير؛ وذلك مع افتقارهم للتخصص في الدراسات التربوية الإسلامية.

ـ عدم وجود منهج بحثي واضح الخطوات والمقاصد يوجه ويضبط جهود التأصيل الإسلامي للعلوم التربوية المعاصرة.

ـ ندرة الدراسات التحليلية التأصيلية المقارنة الموجهة نحو البحث عن أهم نقاط التوافق والاختلاف فيما بين المدرستين التربوية المعاصرة والإسلامية.

ـ لم يقف الباحث على دراسة تربوية إسلامية منشورة توصل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية.

وفي ظلال الملاحظات السابقة التي استقرأها الباحث بصفته متخصصاً في الدراسات التربوية الإسلامية المقارنة؛ وعلى أمل أن يسهم \_ طاقة جهده \_ في إشهار بعض ملامح منهج البحث في الدراسات التربوية الإسلامية التأصيلية المقارنة بغية التعريف بخصوصية التربية الإسلامية؛ ومن أجل تقديم تصور تربوي إسلامي لماهية مبدأ التغذية الراجعة التعليمي تتحدد مشكلة الدراسة في السؤال الآتي:

(ما مفهوم مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء المنظورين التربوي والإسلامي؟)

تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية

### 3-أهمية الدراسة:

- تقدم الدراسة تعريفاً موجزاً لماهية مبدأ التغذية الراجعة التعليمي.
- تتشد الدراسة تقديم تبيان يجلي بعض أهم مبادئ وخطوات إنجاز الأبحاث التربوية الإسلامية القائمة على التأصيل والمقارنة.
- تظهر الدراسة بعض المبادئ والمُثل التي تمنح التربية الإسلامية منهجها المستقل في بناء منظومة القيم السامية لدى المتعلم؛ وأهم إجراءاتها في رفده بمختلف المعارف والعلوم.
- تسعى الدراسة إلى تقديم تصور تربوي إسلامي لمبدأ التغذية الراجعة التعليمي عبر دراسة تنهج خطوات التوثيق الدقيق للأدلة الشرعية؛ والتحليل التدريجي لها للوقوف على نقاط المشكلة والاختلاف؛ ومن ثم المناقشة المنطقية لإثبات الحقائق

### 4-أهداف الدراسة:

- التعرف إلى مفهوم مبدأ التغذية الراجعة التعليمي.
- تحديد بعض أهم المبادئ والمراحل التي ينفذ في ضوءها بحث تربوي إسلامي تأصيلي مقارن.
- إظهار بعض السمات التي تشكل هوية التربية الإسلامية في التربية والتعليم.
- تقديم تصور لمبدأ التغذية الراجعة التعليمي في المنظورين التربوي والإسلامي.

### 5-حدود الدراسة:

- تقديم تعريف بماهية التغذية الراجعة في المنظور التربوي المعاصر.
- التعريف بمنهج التربية النبوية في تقويم المسار (التصحيح)، وتمكين المسار (التعزيز) من خلال تقديم جملة شواهد من الأحاديث الشريفة ومن المواقف النبوية الكريمة.
- الوقوف على أهم المبادئ والخطوات التي تشخص جهود التأصيل الإسلامي التربوي المقارن.
- التعريف ببعض قيم ومبادئ التربية الإسلامية.

### 6-منهج الدراسة:

اعتمد الباحث لإنجاز الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي عن طريق استخدام أداتي الاستقراء والاستنتاج؛ وذلك نظراً لكون هذا المنهج البحثي يتناسب وطبيعة المشكلة التي سوغ الباحث من خلال الوقوف عليها نهوضه بالدراسة الحالية.

وفي ضوء ذلك قام الباحث بإنجاز دراسته في ضوء الخطوات الآتية:

- 1-تحديد مفهوم مبدأ التغذية الراجعة التعليمي من خلال الاعتماد على الدراسات النظرية والأبحاث التجريبية الأجنبية والعربية على السواء.

2- ومن ثمَّ شرَّعَ الباحث بعد مرحلة الجمع والاستعراض في تنفيذ مرحلة التأصيل معتمداً على آليات سبر موجه ومتأن الأحاديث السنة النبوية وأحداث السيرة النبوية التي عرضت أحداثاً زود النبي ﷺ من خلالها أصحابه أو تلقى منهم تقويماً يصحح أو تعزيزاً يُمكنُ وجهات النظر المتباينة أو المبادرات المختلفة .

#### 7- مصطلحات الدراسة:

-السنة النبوية: ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير (الشوكاني، د. ت، 33).

-التغذية الراجعة: مبدأ تعليمي يَنشُدُ تقويم مسار التعلم وتعزيزه بغية تحقيق التعلم المتقن عبر أنماط متباينة (كنعان، 2007، 103).

-التأصيل التربوي الإسلامي: جهد علمي مقارن يَنشُدُ تبيان موقف مبادئ التربية والتعليم التي ينادي بها الفكر التربوي الإسلامي من نتاجات الفكر التربوي العالمي.

#### الإطار النظري الوصفي التحليلي المقارن

#### أولاً: التغذية الراجعة في المنظور التربوي:-

1- مقدمة: إن مفهوم التغذية الراجعة هو لُبُّ الاتجاه السبرينيتي في عملية التعلم، وظهر هذا المفهوم نتيجة للأبحاث التي عملت على تدريب الجنود على الآلات الحربية الحديثة في أثناء الحرب العالمية الثانية، ولقد كان وينر (1948) Wiener من أوائل من لاحظ أوجه الشبه الكبيرة بين عمليات التحكم في الآلات التكنيكية من جهة، وعمليات الضبط عند الإنسان من جهة أخرى، وقد استخدم كلمة سبرينيتي لوصف هذه العلاقة، علماً أن كلمة سبرينيتي (Sybernetic) قد أخذت عن الكلمة اليونانية (Kybernetes) والتي معناها الرجل المتحكم في الآلة وحركتها (Steersman) (Hilgato، 1958، 376). وقد استخدم هذا المصطلح بعد ذلك في مجالات متعددة، فمثلاً في علم الأحياء الوظيفي يقصد به العملية التي تستخدم على وجه التقريب في حفظ الأتزان الداخلي، كما في حفظ الدم أو درجة حرارة الجسم، ويعني في هذا المجال التغذية الراجعة من المستقبلات الداخلية (عثمان والشرقاوي، 1977، 157-158)، ويشير هذا المصطلح في علم الهندسة إلى الإرشادات أو القراءات التي يعطيها جهاز معين عن حالة نشاط أو تشغيل شيء معين في وقت معين، وأبسط مثال على ذلك مبدأ عمل الطائرة أو السفينة الفضائية،(طه وآخرون، 1993، 229-930)، وفي ميدان سيكولوجيا التعلم يستخدم مفهوم التغذية الراجعة لوصف نوع من التفاعل المتبادل بين نوعين أو أكثر من الأحداث حيث يستطيع حدث معين (استجابة المتعلم) بَعَثَ نشاطٍ آخر ناتجٍ عنه (تقويم الاستجابة)، والذي يؤثر بدوره بأثر رجعي

## تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية

على النشاط أو الاستجابة السابقة، فيعيد توجيهه إذا حاد عن الهدف، ومثال ذلك إذا طُلبَ إلى تلميذ في الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي، أن ينقل كلمة معينة دُوِّنتَ على السبورة الجدارية إلى دفتره، فإن التلميذ يراجع بعد ذلك استجابته، فإذا تَبَيَّنَ أخطاءه في كتابة بعض حروف الكلمة، فإنه يمسخها معيداً محاولة كتابتها، فالتلميذ كتب كلمة على دفتره، ومن ثم قارن بينها وبين المثال النموذجي المكتوب على السبورة الجدارية أمامه، وهذا يعني أنه تلقى تغذية راجعة بصرية حسية نبهته إلى وجود خطأ في محاولته، إذ لم تأت المحاولة مطابقة للكلمة النموذجية المدونة على السبورة الجدارية (خير الله والكناني، 1983، 143).

وقد أوردت الأدبيات التربوية النظرية، والدراسات والأبحاث التجريبية تعريفات متعددة للتغذية الراجعة، ومن أمثلتها ما يأتي:

- **برجمان (Bergman):** هي عبارة عن تقرير مستمر تقريباً عن عمليات أساسية، وهذا التقرير يُعطى للفرد عندما يقوم بضبط هذه العمليات (Bergman، 1981، 20).

- **شابلين (Chaplin):** تمثل التغذية الراجعة تلك المعلومات التي ترد من مصدر ما يفيد في ضبط السلوك (Chaplin، 1968، 82).

- **باردويل، «Barduell»** المعلومات التي يقدمها المعلم للمتعلم عن أدائه (أبانمي، 1994، ص10).

- **الغريب:** تستخدم في نظرية الضبط الذاتي للسلوك لوصف «نوع من التفاعل المتبادل بين نوعين أو أكثر من الأحداث، حيث يستطيع حدث معين (استجابة)، أن يبعث نشاطاً ثانوياً لاحقاً (مثير انبعث عن الاستجابة)، وهذا يؤثر بدوره بطريقة رجعية، أو بأثر رجعي على النشاط والاستجابة السابقة، فيعيد توجيهه إذا كان قد حاد عن الهدف (الغريب، 1959، 389).

- **كنعان:** هي مبدأ تعليمي يَنشُدُ تقويم مسار التعلم وتعزيزه بغية تحقيق التعلم المتقن عبر أنماط متباينة. (كنعان، 2007، 103).

2- **أنماط التغذية الراجعة:** لقد أوردت الأدبيات التربوية تصنيفات متغايرة لأنماط التغذية الراجعة، معتمدة على معايير ووجهات نظر مختلفة، وسوف نستعرض أهم هذه الأنماط ضمن الإطار الآتي:

2-1- **أنماط التغذية الراجعة باعتبار دورها الوظيفي:**

2-1-1- **التغذية الراجعة الإعلامية:** وهي التغذية الراجعة التي يتم من خلالها «إعلام المستجيب بصحة استجابته أو الخطأ فيها، دون تصحيحها» (صوالحة، 1990، 66).

2-1-1- التغذية الراجعة التصحيحية: وهي التغذية الراجعة التي يتم من خلالها تزويد المتعلم بالعبارات التصحيحية التي يسترشد بها لإعادة بناء الاستجابات الصحيحة المطلوبة منه.

2-1-3- التغذية الراجعة التفسيرية: وهي التغذية الراجعة التي تُقوِّم مدى صحة استجابة المتعلم عن طريق تحديد مواطن الاستجابات الصحيحة والخاطئة بعبارات مكتوبة أو شفوية تحقق ذلك التقويم، ومن ثم تطرح المسوغات والبراهين المنطقية التي تسوغ للمتعم عن طريق المناقشة المباشرة معه ومع زملائه، أسباب عدّ بعض استجاباته صحيحة أو خاطئة، وقد توصلت كثير من الدراسات والأبحاث إلى أن «أفضل أشكال التغذية الراجعة من حيث الفاعلية في التعلم، ورفع مستوى تحصيل الطلاب الدراسي، هو معرفة الطلبة للإجابات الخاطئة والصحيحة، وتصحيح الإجابات الخاطئة، ومناقشة الإجابات الصحيحة والخاطئة» (أبانمي، 1994، 63).

2-1-4- التغذية الراجعة التعزيزية: وهي التغذية الراجعة التي تمد المتعلم بمعلومات تُبيِّن ما إذا كانت استجابات المتعلم للموقف التعليمي صحيحة أو خاطئة في ضوء مَحَكَّات تقويم الأداء المعتمدة، ومن ثم يقوم المعلم بتزويد المتعلم بعبارات تعزيرية مثل: أحسنت، شكراً لاهتمامك، حافظ على تميزك (بونس، 2002، 18).

## 2-2- أنماط التغذية الراجعة باعتبار طبيعتها:

2-2-1- التغذية الراجعة الإجمالية: وهي المعلومات التي يتم تزويد المتعلم بها، والمتعلقة بمدى توافق الحصيلة النهائية لأدائه مع المعايير المُقدَّرة لاعتبار العمل مقبولاً.

2-2-2- التغذية الراجعة العملية: وهي التي يتم من خلالها تزويد المتعلم من خلال منهج تنابعي بمعلومات تفصيلية حول مدى تطابق تسلسل أدائه مع المراحل والخطوات والعمليات النموذجية المحددة.

## 2-3- أنماط التغذية الراجعة باعتبار وسيلة الحصول عليها:

2-3-1- التغذية الراجعة اللفظية: وهي التغذية الراجعة التي يتلقاها المتعلم عن طريق الكلام من طرف آخر من أطراف التواصل بهدف تقدير مستوى إتقانه للتعلم.

2-3-2- التغذية الراجعة المكتوبة: وهي التغذية الراجعة التي يتلقاها المتعلم إثر أدائه لمهمة تعليمية، وذلك عن طريق الكتابة التقويمية لمستوى نجاحه في تحقيق النتائج المنتظرة منه، «والتغذية الراجعة المكتوبة أفضل من التغذية الراجعة اللفظية على اعتبار أنه بإمكان المتعلم

تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية

الرجوع إليها في أي وقت يعكس التغذية الراجعة اللفظية، والتي يمكن نسيانها من قبل المتعلم، وبالتالي عدم الاستفادة منها» (المقطري، 1989، 8-9).

2-3-3- التغذية الراجعة المرئية: وهي التغذية الراجعة التي يتلقاها المتعلم من خلال رؤيته لسلوكه الذي تم تسجيله، وذلك عن طريق إعادة عرضه عبر شريط الفيديو، أو عبر شريط (CD).

2-4- أنماط التغذية الراجعة باعتبار مصدرها:

2-4-1- التغذية الراجعة الخارجية: وهي المعلومات والتلميحات والإيماءات التي تتصل بأداء معين، والتي تصدر عن أحد أطراف عملية التواصل كردة فعل على مستوى الكفاءة في الأداء.

2-4-2- التغذية الراجعة الداخلية: وهي المعلومات التي يحصل عليها المتعلم عن طريق خبراته الشخصية النفسية، وممارساته السلوكية الحياتية، والتي تم إدماج أحداثها ونتائجها الموجبة والسالبة في البنية المعرفية للمتعلم.

2-5- أنماط التغذية الراجعة باعتبار طريقة تلقيها:

2-5-1- التغذية الراجعة الحسية: وهي التغذية الراجعة التي تتمثل في الإرشادات والتوجيهات التي تمدنا بها الحواس الخمسة، والجهاز العصبي المركزي، والأجهزة الحسية الحركية. ومثال هذا النمط من التغذية الراجعة ما يقوم به المتسابق في بطولة للرمي بالبندقية إثر عدم إصابته للهدف المحدد له على لوحة الرماية، من دراسة لأسباب إخفاقه في المحاولة الأولى، حيث يتلقى عن طريق الجهاز البصري التغذية الراجعة الحسية، والتي توجهه إلى أن سبب إخفاقه هو وقوفه الخاطئ في أثناء التسديد.

2-5-2- التغذية الراجعة المعلوماتية: وهي المعلومات التي تتصل بأداء سلوك معين، وتصدر عن أحد طرفي التواصل بهدف تقويم مستوى الأداء، ومن ثم توجيهه من خلال معلومات كمية أو كيفية أو كليهما معاً إلى السلوك النموذجي الأمثل، وهي تتطلب معرفة واضحة بنتائج العمل المطلوب، وبمعايير تقدير قيمته، ومثال هذا النمط من التغذية الراجعة ما يحصل عليه المتعلمون عن طريق معلمهم من معلومات حول مستوى تحصيلهم في الاختبارات التحصيلية (نشواتي، 1984، 444).

2-6- أنماط التغذية الراجعة باعتبار زمن تقديمها:

2-6-1- التغذية الراجعة الفورية: وهي المعلومات الإيجابية أو السلبية التي يُقدمها أحد طرفي عملية التعليم والتعلم عقب السلوك الملاحظ ودون أي وسيط، ويرى هوبرت (Hobart) «أن التغذية الراجعة -

## د. عماد كنعان

سواء كانت عقوبة (سلبية)، أم مكافأة (إيجابية)، إذا جاءت متأخرة غير مباشرة، فإن نسبة التعلم وكميته تنقص بشكل مواز» (Mowrer، 1960، 264-265).

2-6-2-التغذية الراجعة الموجبة: وهي المعلومات السلبية أو الإيجابية التي يُرَوِّدُ بها أحد طرفي عملية التعليم والتعلم الطرف الآخر بعد إتمامه لكامل المهمة التعليمية بطريقة غير مباشرة. 2-7- أنماط التغذية الراجعة باعتبار اتجاهها:

2-7-1-التغذية الراجعة الموجبة: وهي التغذية الراجعة التي يتم من خلالها إخبار المتعلم بأن أداءه في مهمة تعليمية، أو في جزء منها، صحيح ومقبول بسبب مطابقته للنماذج المعيارية المقدره (Barringer and Gholson، 1979، 49).

2-7-2-التغذية الراجعة السالبة: وهي التغذية الراجعة التي يتم من خلالها إخبار المتعلم بأن أداءه في مهمة تعليمية أو في جزء منها خاطئ وغير مقبول بسبب عدم مطابقته للنماذج المعيارية المقدره (Koka and Hein، 2003، 14).

### ثانياً: التغذية الراجعة في المنظور التربوي الإسلامي:

إن الشريعة الإسلامية عندما اعتمدت الاجتهاد أحد مصادرها التشريعية من أجل التعامل مع مستحدثات الأمور، مُفَرِّغَةً بمبدأ تغيير الأحكام بتغير الأزمان في الأحكام الاجتهادية، كما توضح القاعدة الأصولية: «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان»، فإنها أخذت بعين الاعتبار أن الأحكام الاجتهادية لن تأتي في جميع أحوالها مطابقةً للصواب ومنافيةً للخطأ، بل هي خاضعة بدون شك لخصائص الطبيعة البشرية غير المعصومة عن الخطأ، والمجبولة على التعرض للوقوع في القرارات غير المناسبة، والمبادرات غير المقبولة، وذلك نظراً لما يحكمها من غرائز وميول واتجاهات وقدرات ومعارف ومبادئ متباينة لا يمكن ضبطها أو السيطرة عليها باستمرار، وهذا كُلُّهُ يعني لزوم توافر معلومات تُقَوِّمُ مدى التطابق فيما بين الاجتهاد والمصلحة المثلى المبتغاة منه، وذلك من أجل إرضائه إذا ما جاء صحيحاً، ومن أجل العُدُول عنه إذا ما جاء يحمل مصلحة دون التي يحملها اجتهاد آخر بديل عنه.

وقد أشار القرآن الكريم - عندما عاتب الرسول ﷺ على بعض ما ذهب إليه من وجهات نظر في مسائل متعددة - إلى أن الله لا يؤاخذ المجتهد على نتائج اجتهاده غير المتوافقة مع حكم الله تعالى ما دام أنه استفرغ ما في وسعه للكشف عن حكم الله تعالى في المسألة المعروضة، وفي هذا المعنى يقول صاحب التقرير والتحبير في أثناء تعقيبه على عتاب الله سبحانه للنبي ﷺ وأصحابه على قبولهم فداء الأسرى في غزوة بدر: «إن حكم الله سبق في اللوح المحفوظ أنه لا يُعاقبُ أحدًا

## تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية

على الخطأ في الاجتهاد، وكان حكمهم هذا خطأ في الاجتهاد، لأنهم رأوا أن استبقاء الأسرى سيكون سبباً في إسلامهم وتوبتهم، وأن الفداء مما يتقوى به على الجهاد في سبيل الله، وخفي عليهم أن قتل الأسرى أعزُّ للإسلام، وأهيب لمن وراءهم» (الحلبي، 1999، ج3، 297).

والسنة النبوية القولية والفعلية قد أكدت في غير موضع حقيقة عدم ضرورة التلازم بين الاجتهاد والصواب على الإطلاق، فتارة يأتي الاجتهاد إما مصيباً ومحققاً لمقاصد الشريعة وغاياتها الإصلاحية، وإما يأتي مصيباً لكنه دون اجتهاد آخر أكثر صواباً وأولى منه، وتارة أخرى يأتي الاجتهاد متضارباً تماماً مع الحلول الناجمة للمشكلة الحاصلة، قال ﷺ: «إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو فليتركها»<sup>(1)</sup>، والحديث النبوي يدلُّ صراحة على احتمال وقوع الاجتهاد الخطأ من النبي ﷺ في أثناء قضائه لطرف دون آخر من أطراف النزاع وذلك بقوله ﷺ: «فأحسب أنه صدق فاقضي له بذلك»، وقال أيضاً ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»<sup>(2)</sup>، وفي الحديث تحفيز على الاجتهاد بإعطاء الأجر عليه إن جاء صحيحاً أو خاطئاً.

وأيضاً كان الذكر الحكيم يأتي النبي ﷺ مَقَوِّماً اجتهاده، ومشيراً إلى ما هو أكثر صواباً وأولى مما بَدَرَ منه قبالة بعض الأحداث والقضايا، فقد صحح القرآن الكريم موقف النبي ﷺ من سرقة طعمة بن أبييرق حيث لم يَعْلَمْ رسول الله ﷺ بسرقة، ولما جاء قومٌ يدافعون عنه أمام رسول الله ﷺ ويتهمون غيره، صدقهم رسول الله ﷺ ولامَ الذين اتهموه بالسرقه، فأنزل الله آيات يعاتب فيها رسوله ﷺ، ويصحح له اجتهاده بتبرئة هذا المنافق السارق، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ [النساء: 105]، (القرطبي، ج5، 310-312).

ومن ذلك ما وقع في نفس رسول الله ﷺ في أن يطلب من بعض أصحابه مغادرة مجلسه نزولاً عند رغبة بعض المشركين الذين أغروه باحتمال التحاقهم بدعوته إن جلسوا إليه منفردين به، واستمعوا لتعاليمه الجديدة، فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ

(<sup>1</sup>) البخاري: كتاب المظالم، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، 2326/2. وأخرجه أبو داود: كتاب الأفضية، باب في قضاء القاضي إذا أخطأ، 3583/4.

(<sup>2</sup>) البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، 6919/4.

## د. عماد كنعان

وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿[الأنعام: 52]﴾<sup>(3)</sup>.

وأيضاً لقد كان النبي ﷺ يتلقى التقويم بشكل مستمر من الصحابة حول قيمة اجتهاده، ومدى اشتماله على ما فيه خير لهم في دنياهم وأخراهم، فقد قدم الصحابة للنبي ﷺ تعريزاً على جُلِّ اجتهاداته، وذلك مثل موافقتهم له بلا تردد أو توجس على اجتهاده بضرورة ملاقاته جيش قريش يوم بدر، حين ألفت إليه بأفلاذ كبدها بعد نجاة قافلة أبي سفيان، حيث قام أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: «يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، فولذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (موضع بناحية اليمن)، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه» (ابن هشام، 1978، ج2، 187).

كما زود الصحابة النبي ﷺ بوجهات نظر ضُمَّنتُ تنويهاً إلى منافع أكثر، ومصالح أوفر، تكمن في بدائل عن اجتهادات ارتأها النبي ﷺ في بعض الأحداث والمستجدات، وذلك مثل عدم موافقة الصحابييين سعد بن معاذ وسعد بن عباد النبي ﷺ على إقرار كتابة شروط الصلح من قائدي غطفان يوم الخندق، حيث عدلَ النبي ﷺ عن مصالحة غطفان على ثلث ثمار المدينة مقابل شراء موقفهم المتحزب مع اليهود ضد المسلمين، مستمعاً بذلك لقول سعد ابن معاذ: «يا رسول الله! قد كنَّا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله، ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منَّا ثمرة واحدة، إلا قرئ أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا، ما لنا بهذا من حاجة! والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم» (النمري، 1984، 125).

وإذا ما كان القرآن الكريم قد بادرَ النبي ﷺ في أحداثٍ متعددةٍ بتقويمٍ تعريزيٍّ أو تصحيحيٍّ حول بعض اجتهاداته، مقرأً إياه على بعضها، أو مشيراً إلى وجود اجتهادات أخرى تقع عند درجة أعلى من سلم الأولويات، فإن الصحابة هم أكثر عرضة لأن تصدر عنهم أحكام وتصرفات اجتهادية نحو ما يواجههم في مجريات حياتهم اليومية، وهنا كان البيان القرآني يرفدهم بتقويمٍ تشخيصيٍّ يشير إلى سلامة هذا الاجتهاد الصادر عنهم، أو إلى ما هو أولى منه، وذلك ضمن منهج تعليمي تربوي أهَّلهم لأن يكونوا أكفاء في حمل أمانة رسالة الإسلام.

(3) مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل سعد بن أبي وقاص، 2413/5.

## تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية

ومن ذلك أنه نزلت الآيات القرآنية في عدة مشاهد تؤكد صحة ما ذهب إليه عمر بن الخطاب من وجهات نظر في أثناء طرحه لحلول وطرق تفاعل مع كثير من المواقف والقضايا، حيث ثَمَّنَ اللهُ سبحانه وتعالى ما وجده عمر تصرفاً مناسباً بشأن أسرى غزوة بدر، وذلك عندما أفتى بضرورة قتلهم جميعاً، مخالفاً بذلك رأي من ذهب إلى أفضلية أخذ الفداء منهم دون قتلهم، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُتَخَّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 67]، وكذلك نزلت الآيات الكريمة توجه أبا بكر الصديق إلى أن يعفو ويصفح عن ابن خاله مسطح بن أثاثة الذي تكلم في أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك، وطلب إليه أن يتراجع عن ما أقسم عليه: «والله لا أنفعه بنافعة أبداً» (ابن كثير، د-ت، ج3، 276)، أمراً إياه بأن يصِلَهُ بما كان يصِلُهُ به من النفقة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 22].

وقد أمضى النبي ﷺ مدة بعثته الميمونة، لا يألُو جهداً ولا يُفَوِّتُ فرصة في عطاء عَزَّ نظيره، يتابع - من غير كلل - أدق تفاصيل الأحداث الإشكالية التي كانت تعترض مجريات حياة الصحابة من حوله، حيث كان من جهة يؤكد لهم استحسانه لطرق تعاملهم مع المستجدات التي بذلوا فيها اجتهادات معينة، سواء في حضرته أو في غيبته ﷺ، ومن أمثلة ذلك إجازته وثنائه على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس في يهود بني قريظة إثر تحريضهم، ومن ثم مشاركتهم في حرب الأحزاب التي استهدفت استئصال التوحيد وأهله، حيث عَقَّبَ الرسول ﷺ على اجتهاده وحكمه فيهم: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك»<sup>4</sup> (ابن هشام، 1978، ج3، 162-163).

وكان النبي ﷺ يزود الصحابة بمعلومات تقويمية مرتبطة بطرق تعاملهم مع مواقف تعترضهم ليس لديهم علم مسبق بحكم الله ورسوله فيها، ومن نماذج ذلك ما يرويه أسامة بن زيد حيث قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فَصَبَّحْنَا الحُرَقَاتِ من جهينة، فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «قال لا إله إلا الله وقتلته؟» قال: قلت: يا رسول الله: إنما قالها خوفاً من السلاح! قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟» فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ»<sup>(5)</sup>.

<sup>4</sup> - البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل، حديث: (2899).

<sup>(5)</sup> مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، 158/1.

إن تزويد القرآن الكريم للنبي ﷺ وبعض أصحابه بتقويم إيجابي أو سلبي مرتبط بمحل اجتهادهم في بعض ما كان يواجههم فيما لم ينزل به وحى إلهي سابق، وإن المعلومات التعزيزية أو التصحيحية التي قدّمها النبي ﷺ لبعض أصحابه تعقياً على أساليب تعاملهم مع بعض ما استجد عليهم في أثناء حياتهم المكتظة بالمستجدات، وإن وجهات النظر الموافقة أو المخالفة التي بذّلها بعض الصحابة تعليقاً على اجتهاد النبي ﷺ في المسائل المختلفة، تتطوي جميعها تحت المعلومات التقويمية الإيجابية أو السلبية التي يتلقاها الفرد من طرف آخر من أطراف التواصل، والتي تهدف إلى تعزيز أو تصحيح طريقة تعامله من الموقف الإشكالي المطروح أمامه، وإن هذا المبدأ التعليمي يسمى في الأدبيات التربوية الحديثة بمبدأ التغذية الراجعة، والتي تمثل في المنظور الإسلامي تقديرات القرآن الكريم لقيمة اجتهاد النبي ﷺ وأصحابه، وكذلك تعليقات النبي ﷺ على اجتهادات أصحابه، وأيضاً وجهات النظر التي كان الصحابة يقدمونها تعقياً على اجتهاد النبي ﷺ، وإن هذا المبدأ التعليمي التربوي يمثل منهجاً تربوياً قرآنياً، وفلسفة تعليمية نبوية مهّد لظهورها، وأرسى فيما بعد أركانها وآدابها، وأوجد نماذج تطبيقية متعددة لها، مبدأ الاجتهاد الذي أقرته الشريعة الإسلامية جاعلة إياه أحد مصادرها التشريعية. (كنعان، 2010، 25-27)

#### ثالثاً- تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في السنة النبوية:

«من السنة النبوية أحاديث عدة، تؤكد مضمون مبدأ التغذية الراجعة... واستعمل الصحابة مبدأ التغذية الراجعة أيضاً وأقرهم النبي ﷺ على ذلك» (العلي، 2005، 89). حيث كان النبي ﷺ يقدم للصحابة معلومات تقويمية فورية أو مؤجلة بعد كل سلوك يقومون به أثناء تعاملهم مع المستجدات والنوازل التي اشتملت عليها تفاصيل حياتهم اليومية، وأيضاً كان النبي ﷺ يشجع الصحابة ويحفّزهم على أن يعبروا عن آرائهم بمنتهى الصراحة، ودون أي حذر أو تكلف، حول مدى موافقتهم أو مخالفتهم لما كان يصدر عنه من اجتهادات ووجهات نظر، وكذلك كان النبي ﷺ يتحوّل ويتراجع عن بعض الحلول وطرق التعامل التي كان قد اقترحها أو أمر بها لعلاج بعض المشاكل وإنهاء بعض الأزمات، وذلك بناءً على ما كان يسترجعه من خبراته ومعارفه بضوابط الشريعة الإسلامية ومقاصدها السامية.

وقد تضمنت الفقرات القادمة قراءة متأنية، تحليلية تأصيلية مقارنة، تظهر مدى الانسجام والتوافق بين أنماط التغذية الراجعة حسب ما حددتها الأدبيات التربوية المعاصرة، والطرق والمناهج التي كانت تقدم من خلالها المعلومات التقويمية في السنة النبوية.

تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية

1- خروج النخل شيصاً لعدم التأبير:

1-1- توثيق الحادثة:

أخرج مسلم في صحيحه عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل، فقال: «ما يصنع هؤلاء؟» فقالوا: يلقحونه، ويجعلون الذكر في الأنتى فيلقح، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما أظن ذلك يعني شيئاً»، فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله ﷺ فقال: «إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإنني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإنني لم أكذب على الله عز وجل».

وفي رواية عائشة وأنس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مرَّ بقوم يلقحون النخل فقال: «لو لم تفعلوا لصلح»، فخرج شيصاً، فمرَّ بهم فقال: «ما لنخلكم؟» فقالوا: قلت كذا وكذا، فقال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»<sup>(6)</sup>.

1-2- المناقشة والتأصيل:

تشتمل حادثة اجتهاد النبي ﷺ في مسألة تأبير النخل على معطيات صريحة، تدلُّ على أن النبي ﷺ قد انتفع من البيانات التي حصلها عبر حاسة البصر من أجل إرساء قاعدة توضح للصحابة أن اجتهاداته الشخصية المتعلقة في أمورهم ونشاطاتهم المعاشية تدرج عبر ما يصدر عنه باعتباره إنساناً مثلهم يجوز على آرائه احتمال الخطأ والصواب على السواء، وهذه المعلومات التي تلقاها النبي ﷺ عبر مشاهدته النخل المتضرر، والتي تمخضت عن مبادئ تنظُّم منهج تعامله مع أصحابه، تُوصَلُ بشكل واضح أحد أنماط التغذية الراجعة الهامة، وذلك حسب ما يأتي:

• حصل النبي ﷺ على معلومات التغذية الراجعة المتعلقة بمدى موافقة توجيهه للصحابة بعدم ضرورة تأبير النخل، مع ما فيه سلامة انتاجهم من التمر، من خلال رؤيته لتمرهم الذي لم يتم نضجه بسبب سوء تأبيره، وتؤكد ذلك رواية عائشة وأنس رضي الله عنهما، والتي ورد فيها: «... لو لم تفعلوا لصلح»، فخرج شيصاً، فمرَّ بهم فقال: «ما لنخلكم؟» قالوا: قلت كذا وكذا...».

فالنبي ﷺ قد مرَّ بجانب البستان الذي نصَّح أصحابه بعدم لزوم تلقيح النخل، وذلك بعد فترة من الزمن يفترض أن يكون ثمر النخل قد اكتمل نضجه خلالها، وشاهد عليه الصلاة والسلام أن ثمارهم من التمر قد تأذت ولم تُؤْتِ أكلها المرتقبة والمعهود منها، وهذا ما يوضح أن النبي ﷺ في هذه الحادثة قد حصل على معلومات تشير إلى عدم التطابق بين فحوى اجتهاده، ومصلحة

(6) مسلم: كتاب فضائل الرسول ﷺ، باب وجوب ما قاله شرعاً دونما ذكره ﷺ من معاش الدنيا

على سبيل الرأي، 4/1836.

## د. عماد كنعان

أصحابه من خلال حاسة البصر التي أبدت له عدم استواء التمر وسوء محصوله، وهذه المعلومات قد حصل عليها النبي ﷺ عن طريق التغذية الراجعة الحسية، التي تتمثل في الإرشادات والتوجيهات التي تَمُدُّنا بها الحواس الخمسة، والجهاز العصبي المركزي، والأجهزة الحسية الحركية، علماً أن البيانات والمعطيات التي نحصل عليها عبر هذا النمط من التغذية الراجعة تختلف وتتباين في مدى دقتها ووضوحها وشموليتها، بناءً على الاختلاف الكبير في حجم وفاعلية الميكنزمات التي تشتمل عليها مصادرها الموردة لها.

• يجب على سائر أفراد المجتمع مهما اختلفت أدوارهم الاجتماعية والاقتصادية والتربوية وغيرها، أن يُسَخَّرُوا المعلومات التي تزودهم بها التغذية الراجعة الحسية، من أجل تطوير مستوى أدائهم، أثناء محاكاتهم للوسط الاجتماعي الذي يتفاعلون مع أنشطته المتعددة، وفي حادثة تأبير النخل وجه النبي ﷺ أصحابه مباشرة بعدما اطلع على عدم سلامة اجتهاده من الناحية الزراعية، إلى ضرورة تمييزهم بين ما يوحى إليه من عند الله تعالى والذي يطابق مطلقاً الحقيقة والصواب، وما يصدر عنه من اجتهادات شخصية تدرج تحت مظلة بشريته التي يتساوى فيها عليه الصلاة والسلام مع الناس جميعاً، من حيث قابليتها للصواب والخطأ، وفي ذلك تتجلى استفادة النبي ﷺ من المعلومات التي أمدته بها التغذية الراجعة الحسية، من أجل تحسين وتعديل منهج تعامله مع أفراد مجتمعه الذين تربطه معهم مصالح وغايات مشتركة.

### 2- تعديل الحُبَاب لمنزل المسلمين يوم بدر:

#### 2-1- توثيق الحادثة:

روى ابن الأثير عن ابن إسحاق قال: «خرج ﷺ يوم بدر يبادر قريشاً إلى الماء، ونزل المسلمون على أول ماء من بدر، فجاء الحُبَاب بن المنذر إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله! أرأيت هذا المنزل؟ أمنزلاً أنزله الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه، أم هو الحرب والرأي والمكيدة؟ قال: «بل هو الحرب والرأي والمكيدة»، قال: يا رسول الله! فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نُغَوِّرُ ما وراء القلوب (الآبار)، ثم نبني عليه حوضاً فتملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال له: «لقد أشرت بالرأي»، وفعل كما قال (ابن كثير، 2003، ج5، 81).

#### 2-2- المناقشة والتأصيل:

### تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية

قَدَّمَ الصحابي الحُبَاب بن المنذر إلى النبي ﷺ عبر ما يسمى في الأدبيات التربوية المعاصرة بمبدأ التغذية الراجعة، رأياً تقويمياً مُعَزِّزاً بِحُجَجٍ منطقية، وذلك حول تعليمات رسول الله ﷺ إلى جيش المسلمين بأن يعسكروا في أحد مواضع بدر، وهذا ما تبينه النقاط الآتية:

• تُصَنَّفُ المعلومات التي وضعها الحُبَاب بن المنذر بين يدي رسول الله تعقياً على انتقائه لمنزل يُعَسِّكُرُ فيه جيش المسلمين ضمن المعلومات التي تُقَدِّمُ عن طريق التغذية الراجعة المعلوماتية، وهي تمثل المعلومات التي يُقَدِّمُهَا أحد أطراف عملية التواصل، بهدف تقييم مدى توافق مستوى أداء الطرف الآخر مع السلوك النموذجي الأمثل، وهي تتطلب معرفة واضحة بنتائج العمل المطلوب، وبمعايير تقدير قيمته (نشواتي، 1984، 444).

• قَدَّمَ الحُبَاب رضي الله عنه رأيه للنبي ﷺ بأولوية النزول في أدنى ماءٍ من بدر، بدل المكان الذي اختاره النبي ﷺ ليكون معسكراً للجيش المسلم، مضمناً وجهة نظره بمسوغات حربية ترجح اعتماده وتعزز ضرورة تنفيذه، وقد خالف الحُبَاب رأي الرسول عليه الصلاة والسلام عن طريق التغذية الراجعة السلبية التي تشتمل على إعلام الطرف الآخر من أطراف التواصل بخطأ اجتهاده، أو بمخالفته لما هو أولى وأصوب، ومن ثم عزز اجتهاده رضي الله عنه بِمُدَعَّمَاتٍ تُظْهِرُ أولوية الأخذ به، وذلك عن طريق التغذية الراجعة التفسيرية، والتي تشتمل على مسوغات المنطقية التي تُجَلِّي أولوية الأخذ باقتراحات وحلول واستجابات أحد أطراف عملية التواصل دون ما في جُعبَةِ الطرف الآخر.

• تكشف قصة استماع النبي ﷺ لوجهة نظر الحُبَاب بن المنذر بصدور واسع، برغم تضاربها الذي يصل إلى حد التناقض مع اجتهاده ﷺ، عن السياسة النبوية الحكيمة في تعامله مع أصحابه، والتي أسهمت دائماً في عصف أدمغتهم، وتطوير المبادرات المبتكرة لديهم، مما أهلهم في المستقبل أن يكونوا رموزاً يُقَنَّى أثرهم في سائر النشاطات الحياتية المتنوعة، وفي ذلك استدلال قِيَمٍ على ضرورة تَقَبُّل القائد أياً كان دَوْرُهُ، لِمَا يُبَدِّلُ بين يديه عبر من يَسُوْسُهُمْ من تغذية راجعة متعلقة ببعض ما يصدر عنه من تصرفات أو أقوال لا تتوافق مع القرار الأمثل بشكل نوعيٍّ شامل.

### 3-إلغاء إمضاء شروط الصلح مع غطفان يوم الخندق:

#### 3-1-توثيق الحادثة:

روى البيهقي في دلائل النبوة أنه: لَمَّا اشتد البلاء على الناس بالحصار الذي مكث نحو شهر، بعث رسول الله ﷺ إلى عُبَيْنَةَ بن حصن والحارث بن عوف المري، وهما قائدان من غطفان، وأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح (إمضاء شروط الصلح)، فلما أراد

## د. عماد كنعان

ﷺ أن يفعل ذلك، بعث إلى السَّعِدِينَ (سعد بن معاذ وسعد بن عباد)، فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله أماً تحبه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ فقال ﷺ: «بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحد، وكالبوكم (أظهروا عداوتكم وجأهروا بها) من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما»، فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعاً، أحياناً أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا! ما لنا بهذا من حاجة! والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال ﷺ: «أنت وذاك»، فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا أنفسهم.<sup>7</sup>

### 3-2- المناقشة والتأصيل:

استدعى النبي ﷺ الصحابييين سعد بن معاذ وسعد بن عباد ليعتصموا بهما في شأن ما شرع به من إبرام معاهدة تعصم المسلمين في أزمة الخندق من شر غطفان، مما يسهم في كسر أحد الأجنحة التي يحلق بها اليهود على أسوار المدينة ناشرين الخوف والرعب بين أهلها. وقد وجد الصحابييين من الأنصار وهم أصحاب دراية بتاريخ أهل المدينة مع قبيلة غطفان منذ كان يجمعهما الإشراف بالله وعبادة الأوثان، أنهم ليسوا في عوزٍ شديد وحاجة ملحة لأن يشتروا موقف غطفان العدائي في هذه الحرب، شارحين للنبي ﷺ دوافعهم لاتخاذ هذا الرأي نحو اجتهاده، وذلك عبر أنماط التغذية الراجعة الآتية:

• إن تقديم السَّعِدِينَ اجتهادهما للنبي ﷺ، والقاضي بعدم الموافقة على مفاوضة تأمر غطفان على المسلمين بثلاث ثمار المدينة، يمتثل نمط التغذية الراجعة الخارجية الذي يشير إلى ما يقدمه أحد أطراف عملية التواصل (السَّعِدِينَ) من معلومات مرتبطة بسلوك قام به طرف آخر فيها (النبي ﷺ).

• إن استدعاء النبي ﷺ للصحابييين الأنصاريين لمشاورتهما فيما شرع به من عقد اتفاق مع مقاتلي غطفان، أوجد فرصة سانحة أعانت على تزويد الصحابييين النبي ﷺ بالتغذية الراجعة الفورية التي تأتي عقب السلوك الملاحظ ودون أي وسيط، والتي تسهم سواء جاءت سلبية أو إيجابية في تحقيق السلوك النوعي الموصوف الذي يحقق أعلى درجات الإلتقان للعمل (-264

<sup>7</sup> - البيهقي: دلائل النبوة، باب مجيء الأحزاب ونقض بني قريظة ما كان بينهم وبين رسول الله،

حديث: (1313).

## تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية

265، 1960، Mowrer)، والتي نتج عنها هنا عدول النبي ﷺ عن توقيع عقد الصلح مع قائدي غطفان يوم الخندق، وهو ما كان فيه عزة واستعلاء للمسلمين على من استبدلوا تعاضدهم مع اليهود وقريش في حرب الرسول ﷺ وأصحابه ببعض ثمار المدينة، مما يُدللُّ بوضوح على فساد سيرتهم، ووضاعة مقاصدهم.

• سَوَّغَ الصحابيُّان للنبي ﷺ موقفهما الراض لِهذه المعاهدة مع غطفان، عبر التغذية الراجعة التفسيرية التي تُقدِّم عن طريقها الأدلة والبراهين على وجود بدائل عن الاستجابات التي أنجزها الفرد اتجاه موقف إشكالي معين، حيث أكدَّا للنبي ﷺ أنهما ورغم يقينهما المطلق من سُموِّ ونُبْلِ ما يرنو إليه النبي ﷺ من تخفيف آلام الحصار وضغط تكالب الأحزاب عليهم عبر هذه المعاهدة، إلا أنهما لا يطيب لهما أيًّا كانت الخطوب والأهوال، أن تطل أيدي هؤلاء الغزاة المتآمرين من غطفان ثمرة واحدة من غلال المدينة، وكيف وهم الذين يوم كان يجمعهم مع أهل غطفان الإشراف بالله وعبادة الأصنام ما كانت نفوس هؤلاء تُسَوِّلُ لهم ذات يوم أن يحصلوا على ثمارها إلا بما يبذلوه من أموالهم، أو بما يوجد به أهل المدينة عليهم من ضيافة عن طيب خاطر منهم.

• على الرغم من أن النبي ﷺ كان زعيماً للدولة، وقائداً لجيشها، فضلاً عن أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وبرغم أنه قد استطاع بعرضه ثلث ثمار المدينة على غطفان أن يُلحِظَ نقطة الضعف المنهية لقرار مشاركتهم اليهود في حرب المسلمين، وهم الذين قبلوا بالمشاركة مع اليهود في هذا التحالف الخبيث مقابل ثلث ثمار خبير، إلا أنه نزل بمنتهى الرضا عند رغبة سيدين من الأوس والخزرج، ممَّا فيه إشارة تعليمية وتربوية إلى ضرورة تحلي المعلم والمربي بروح تقبل الرأي الآخر، واحترام وجهة نظره من خلال التَّفَكُّرِ والتَّبَصُّرِ في قيمة ما يقدمه لنا من تغذية راجعة تعود على قراراتنا وسلوكياتنا بتقديرات تُقيِّمُ مستوى أدائنا.

### 4- إقرار النبي ﷺ من رقى بالفاتحة على أخذ الأجر:

#### 4-1- توثيق الحادثة:

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب فاستضافوهم، فأبوا أن يضيِّقوهم، فلدغ سيد ذلك الحيِّ، فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيت هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعلَّه أن يكون عندهم شيء، فأتوهم فقالوا: إنَّ سيدنا لدغ، فهل عند أحدكم شيء، فقال بعضهم: نعم، ولكن لا نفعل ذلك حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يقرأ عليه: «الحمد لله ربَّ العالمين»، فكانما نشط من عقل، فانطلق يمشي وما به من عِلَّةٍ، فأوفوهم جُعْلَهُمْ، فقال بعضهم: اقسما، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى تأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان، فننظر ماذا

## د. عماد كنعان

يأمرنا، فقدموا، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال «وما يدريك أنها رقية!»، ثم قال: «قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهماً»، وضحك ﷺ<sup>(8)</sup>.

### 4-2- المناقشة والتأصيل:

تضمنَ تقويم النبي ﷺ لاجتهاد الصحابة في تقاضي الأجر على الرقية بفاتحة الكتاب على نمطين هامين من أنماط التغذية الراجعة:

• قدّم النبي ﷺ تعقيباً على حادثة الرقية بفاتحة الكتاب للصحابة الذين أقدموا على ذلك العمل التغذية الراجعة الموجبة، والتي يتم عن طريقها إعلام المتعلم بأن السلوك الذي قام به هو سلوك صحيح باعتبار مطابقته للقواعد والأحكام الضابطة، فالنبي ﷺ أقرَّ الصحابة البالغ عددهم ثلاثين رجلاً على تقاضيهم أجراً على الرقية بلغ ثلاثين شاة، مؤكداً بذلك عليه الصلاة والسلام أن عملهم هذا لم يأت متعارضاً مع روح الشريعة ومقاصدها السامية.

ولقد أظهرت الدراسات والأبحاث التربوية الحديثة أن للتغذية الراجعة الموجبة آثاراً تعزيزية توطد المبادئ والمعارف المتعلمة، وتسرع وتسهل عمليات استدعائها بسبب حمايتها من عوامل النسيان المتعددة (Barringer and Gholson، 1979، 49).

• قدّم النبي ﷺ للصحابة تقويماً نهائياً على أخذهم الأجر مقابل علاجهم لسيد الحيّ بسورة الفاتحة، مجيباً إيّاهم أن عملهم هذا هو عمل صحيح لا يترتب عليه إثم أبداً، وهذه التغذية الراجعة التي زوّدَهُم بها النبي ﷺ تسمى الإجمالية أو التقويمية أو النهائية، وهي تغذية راجعة تُقدّم للفرد بعد انتهائه تماماً من العمل الذي شرع في إنجازه، وذلك عن طريق قياس مدى التوافق فيما بين الحصيلة النهائية لأدائه، والمعايير المقدرة لاعتبار العمل مقبولاً.

### 5- صلاة الصحابين في السفر:

#### 5-1- توثيق الحادثة:

أن رجلين من الصحابة خرجا في سفر فحضرت الصلاة، وليس معهما ماء فتيماً صعيداً طيباً، ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الوضوء للصلاة، ولم يُعِد الآخر، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يُعِد: «أصبت السنة وأجزأتك صلاتك»، وقال للذي توضأ وأعاد: «لك الأجر مرتين»<sup>(9)</sup>.

(8) البخاري: كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، 2156/2.

(9) الدارمي: كتاب الطهارة، باب التيمم، 771/1.

تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية

## 5-2- المناقشة والتأصيل:

كان النبي ﷺ يشكل للمسلمين المدرسة الأم التي يطلعون من خلالها على مدى توافق أفعالهم، وأقوالهم، وما يقع في نفوسهم، مع مبادئ تعاليم دينهم الجديد، وقد كان النبي ﷺ يُرَوِّدُهُمْ بالتغذية الراجعة التي تُشَخِّصُ قيمة عملهم من خلال إظهار موقعه من أمر الله ونهيه. وفي قصة استفسار الصحابييين عن مدى توافق اجتهاد كُلِّ منهما مع حكم الله ورسوله في مسألة توفر ماء للمتيمم قبل خروج وقت الصلاة التي أداها، قَدَّمَ لهما النبي ﷺ التغذية الراجعة المتمثلة بما يأتي:

• تسمي الأدبيات التربوية الحديثة المعلومات التي قَدَّمَهَا النبي ﷺ للصحابييين والتي أخبرهما من خلالها بسلامة اجتهاد كُلِّ منهما من الناحية الفقهية، بالتغذية الراجعة الإعلامية التي تعني إخبار الفرد بأن تفاعله مع الموقف الإشكالي الذي قَدَّمَ اتجاهه استجابة ما، هو تفاعل صحيح أو خاطئ (صوالحة، 1990، 66).

• تسهم التغذية الراجعة التعزيزية في تحريض المتعلم على مواصلة التعلم، من خلال ما تَمَدُّهُ به من طاقة بِنَاءَةٍ تَشْحَدُ همته وعزيمته على متابعة العلم وإتقانه، ويتمثل هذا النمط من التغذية الراجعة في عبارات الثناء التي يعلق فيها المعلم على سلوك المتعلم وأدائه، مُظهِراً له رضاه عن هذا العمل واستحسانه له (يونس، 2002، 18)، وقد ظهر نمط التغذية الراجعة التعزيزية واضحاً فيما قاله النبي ﷺ تعقيباً على اجتهاد أحد الصحابييين بإعادة الصلاة بعد تيسُّر الماء له ضمن وقت الصلاة نفسها، حيث أفناه قائلاً: «أصبت السُنَّةَ، وأجزأتك صلاتك»، وهي عبارة تطمئن الصحابي على صحة عمله وموافقته لرضى الله تعالى، وكذلك قَدَّمَ النبي ﷺ للصحابي الثاني الذي أعاد صلاته بعدما وجد الماء قبل خروج وقت الصلاة التغذية الراجعة التعزيزية بقوله له: «لك الأجر مرتين».

## 6-اجتهاد عمار في التيمم:

### 6-1-توثيق الحادثة:

روى سعيد بن عبد الرحمن ابن أبزَي عن أبيه قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، فقال: إني أجنبت فلم أُصِبِ الماء، فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أنا كنا في سفر أنا وأنت، فأما أنت فلم تُصَلِّ، وأما أنا فَنَمَعْتُكَ (تَمَرَّغْتُ) فصليت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال النبي

## د. عماد كنعان

ﷺ: «إنما كان يكفيك هكذا»، فضرب النبي ﷺ بكفيه الأرض، ونفخ فيهما، ثم مسح بهما وجهه وكفيه<sup>(10)</sup>.

### 2-6- المناقشة والتأصيل:

كانت السياسة التعليمية للنبي ﷺ تُوجَّهُ أصحابه إلى أهمية قَدَحِ أذهانهم كلما صادفتهم مسائل إشكالية سواء في حال وجوده ﷺ معهم، كما حدث يوم طلب النبي ﷺ من عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن يقضي في حضرته في أمر خصمين قدما إلى النبي ﷺ يحتكمان إليه، أو في حال غيبته عنهم ﷺ، وذلك يظهر جلياً في توجيهه الصريح لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن، بأن يجتهد رأيه ولا يألو فيما يعترضه من المسائل التي لم يرد فيها نص في كتاب الله أو سنة نبيه، وقد كان النبي ﷺ يتابع دون كَلَلٍ مدى تطابق اجتهاد صحابته فيما أفتوا أنفسهم أو غيرهم به من آراء ووجهات نظر حكم الله تعالى وأمره.

ولمَّا وقع من الصحابي الجليل عمار بن ياسر اجتهاد في مسألة ليس لديه علم مسبق في حكمها، قَدَّمَ له النبي ﷺ التغذيةية الراجعة المصوبة لسلوكه اتجاه هذه المسألة الطارئة وذلك عبر الأنماط التعليمية والتوجيهية الآتية.

• زَوَّدَ النبي ﷺ عماراً بالتغذية الراجعة السلبية التي تُطَلِّعُ المتعلم على أن أداءه في مهمة ما جاء خاطئاً وغير مقبول بسبب عدم مطابقته للنماذج المعيارية المقدرة، حيث إن النبي ﷺ أطلع عمار بن ياسر أن تَمَرُّعُهُ في التراب بحثاً عن الطهارة يوم فقد الماء، غير لازم في هذه المسألة، وإنما يُجْزِئُهُ عن ذلك كُلُّه التيمم من الصعيد الطيب من أجل تحقيق شرط الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر من أجل الصلاة.

• أرفق النبي ﷺ نمط التغذيةية الراجعة اللفظية الذي يعني إخبار المتعلم مشافهة عن طريق الكلام بصواب أو خطأ عمله، مع نمط التغذيةية الراجعة المرئية الذي يمثل تصويراً للعمل النموذجي المقبول، حيث يقدمه المعلم للمتعلم أثناء تقويمه لمدى التوافق فيما بين استجابته نحو الموقف الإشكالي، والاستجابة المعيارية المعتمدة، وقد قَدَّمَ النبي ﷺ للصحابي عمار بن ياسر شرحاً عملياً تصويرياً للكيفية الشرعية التي تحقق له الطهارة من الحدث الأكبر عند فقد الماء.

(10) البخاري: كتاب التيمم، باب التيمم هل ينفخ فيهما، 231/1.

تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية

7- تراجع النبي ﷺ عن أمره بتحريق هَبَّار ونافع:

7-1- توثيق الحادثة:

روى البخاري عن أبي هريرة أنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في بَعَثٍ، فقال: إِنْ لَقَيْتُمْ فَلاناً وفلاناً - لرجلين من قريش سَمَّاهما - فَحَرِّقُوهُمَا بالنار، ثم أتيناها نودَّعه حين أردنا الخروج، فقال: «إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار، وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإذا أخذتموهما فاقتلوهما»<sup>(11)</sup>.

وروى ابن اسحاق عن أبي هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ سرية أنا فيه، فقال لنا: «إِنْ ظَفَرْتُمْ بِهَبَّارِ بن الأسود، أو الرجل الآخر الذي سبق معه إلى زينب... فحرقوهما بالنار»، قال: فلما كان الغد بعث إلينا، فقال: «إني كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إِنْ أَخَذْتُمُوهُمَا، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا الله، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما» (ابن هشام، 1978، ج2، 223).

7-2- المناقشة والتأصيل:

يلق الحافظ ابن حجر أثناء شرحه للحديث بقوله: «وفي الحديث جواز الحكم بالشيء اجتهاداً ثم الرجوع عنه» (ابن حجر، ج6، 989، 186)، وموضع استشهاد ابن حجر على رأيه بجواز العدول عن الاجتهاد في مسألة إلى خلافه، نظراً لقرائن ترجح هذا التحول عن الاجتهاد، هو أن النبي ﷺ كان قد أطلق حكماً بإهدار دم هَبَّار بن الأسود ونافع بن عبد قيس لِنَخْسِهِمَا بغيراً كانت زينب مهاجرة في هودج يعلوه، مما أودى إلى سقوطها من أعلاه، وبالتالي قتل جنيها، ومن ثم موتها على إثر هذه الحادثة (أبو النصر، 2003، 44)، وقد سير رسول الله سرية أوسد إليها أمراً بتحريق هذين الأثمين، إغراقاً في تعذيبهما، وزجراً لغيرهم عن اقتراف جُرمٍ مُسِيئٍ يَدُلُّ صراحة على وضاعة وعدم مروءة من يأتيه، ولكن رسول الله ﷺ كان قد عدل عن اجتهاده بتحريق هذين المشركين من قريش إلى قتلهما فقط، بعد أن تَبَيَّنَ له أن في تحريقهما تجرؤاً على الله تعالى الذي اختص لنفسه بعقوبة التعذيب في النار، مستفيداً في تراجعهِ ﷺ عن اجتهاده مما قد أيقنه وتَعَرَّفَ إليه من نصوص الشريعة، وأصولها الثابتة، وضوابطها المُحَكَّمَة، والتي يندرج في واحدة من إملائها أنه لا ينبغي أن تُسْتَعْمَلَ النار للقتل أو التعذيب كونها قد وُطِّتْ لتكون أداة عقاب الله العادل لمن عصاه من خلقه.

(11) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يُعَذَّبُ بعذاب الله، 6/2954-3016.

## د. عماد كنعان

وهذه القصة تَحْمَلُ في إحدى دلالاتها إشارة واضحة ومطابقة تماماً لماهية التغذية الراجعة الداخلية، والتي تتألف من جملة المعلومات والتوجيهات التي يستخلصها الإنسان من خبراته الشخصية النفسية، وممارساته السلوكية الحياتية، والتي تم دمج أحداثها ونتائجها الموجبة والسالبة في بنيته المعرفية، والمعلومات التي تزودنا بها التغذية الراجعة الحسية «هي معلومات نابغة من ذات الإنسان، وتؤدي إلى أن يوجه المتعلم استجابته، ويضبط اتجاهاته في العمل، فيدرك بنفسه، ويتأكد اعتماداً على ذاته من خطئه أو صوابه» (منصور، 2000-2001، 62).

### 8- كتاب النبي ﷺ إلى خالد بن الوليد:

#### 8-1- توثيق الحادثة:

روى ابن هشام عن ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ كتب إلى خالد بن الوليد كتاباً جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد النبي رسول الله، إلى خالد بن الوليد، سلام عليك، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن كتابك جاعني مع رسولك تخبرني أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاثلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشرهم وأنذرهم، وأقبلْ وليقبل معك وفدهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته» (ابن هشام، 1979، ج4، 183).

#### 8-2- المناقشة والتأصيل:

اشتمل كتاب النبي ﷺ إلى خالد بن الوليد إثر أدائه للمهمة التي أوفد لإنجازها على توجيهات متعددة مثل: «فبشرهم وأنذرهم»، «ولتقبلْ وليقبل معك وفدهم»، وهذه الإرشادات النبوية حملت في مضمونها إشارات واضحة إلى أنماط مختلفة من التغذية الراجعة، ومنها:

• أن إقرار النبي ﷺ بأن خالداً قد حقق الأهداف المنشودة من بعثته إلى نجران، تعد تغذية راجعة ذات وظيفة تعزيزية كونت عند خالد بن الوليد فنانة مطلقاً بأنه قد نجح في إنجاز المهمة المطلوبة منه، وأن إعلام الشخص بأن سلوكه جاء مطابقاً للنموذج المطلوب يحقق أهم وظائف التغذية الراجعة الإعلامية والتعزيزية والتوجيهية.

• يؤكد كل من كاردل وكورنو (Cardel and Corno) أن التغذية الراجعة التي تُقدَّم إلى الأفراد عن طريق الكتابة التقويمية لمستوى أدائهم في المهمات التي أنجزوها، توفر لهم وثيقة ذات أثر تعليمي أكثر دواماً يمكنهم الرجوع إليها في أي وقت يشاؤون، وذلك مما يحفظ الإيجابيات المعرفية والانفعالية التي تقدمها التغذية الراجعة من أن تتلاشى وتفتت بسبب تباين التجارب وتعدد المهمات (Cardelle and Corno، 1985، 162-165)، وتندرج المعلومات التقويمية

## تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية

والتوجيهية التي اشتمل عليها كتاب النبي ﷺ إلى خالد بن الوليد إثر نجاحه في دعوة بني الحارث بن كعب إلى الإسلام دون قتال، تحت مظلة المعلومات التي يقدمها أحد أطراف التواصل إلى طرف آخر عبر نمط التغذية الراجعة المكتوبة، والتي تمتاز بخصائص تعليمية تجعلها أفضل من نمط التغذية الراجعة اللفظية التي يُروى بها الأفراد مشافهة عن طريق الكلام، مما يقلل من فرص نجاحهم في إدماجها ضمن بنيتهم المعرفية، ومما يطرح احتمال عدم إمكانية في استرجاعها عند تعرضهم في المستقبل إلى مهمة تعليمية مُماثلة.

### 9-محاورة جبريل للنبي ﷺ:

#### 9-1-توثيق الحادثة:

روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وأن تحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»، قال: صدقت، قال: فجعبتنا له يسأله ويصدقها، قال: فأخبرني عن الإيمان؟، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة؟، قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل». قال: فأخبرني عن أماراتها؟، قال: «أن تَلِدَ الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان»، قال: ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»<sup>(12)</sup>.

#### 9-2-المناقشة والتأصيل:

اختر جبريل عليه السلام طريقة تعليمية تقوم على منهج حوارِي يُتوصل من خلاله إلى تزويد المتعلم بجملة من المعارف والمبادئ عبر تسلسل يتضمن في كل مرحلة منه بعض المعلومات المراد إيصالها، وفي هذا المنهج الحوارِي التعليمي تُعدُّ التغذية الراجعة جزءاً أساسياً يحافظ على

(12) ابن ماجه: كتاب المقدمة، باب في الإيمان، 53/1. وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب

الإيمان والإسلام والإحسان، 8/1.

## د. عماد كنعان

تقدم العملية التعليمية التعلمية ضمن المسار الصحيح الذي ينتهي بها إلى تحقيق الأهداف التعليمية المنشودة، ويظهر نمط التغذية الراجعة المستخدم في هذه القصة فيما يأتي:

- تشير قصة الحوار الذي جرى بين الروح الأمين من جهة، ورسول الله ﷺ من جهة أخرى، إلى منهج تقويم تنابعي كان يُروِّدُ جبريل النبي ﷺ من خلاله بتعزيز إيجابي يبين له عن طريقه صحة استجابته، وذلك إما بقوله (صدقت)، أو بانتقاله إلى سؤال آخر دون تصحيح استجابته السابقة مما يشير إلى صحتها وكمالها، وهذه المعلومات التي اشتمل عليها منهج تفاعل جبريل مع النبي ﷺ بشكل إيجابي، حُمِلتُ إليه عليه الصلاة والسلام عبر التغذية الراجعة العملية، والتي تتضمن «معلومات تتعلق بمسار العمل، ومراحله، وخطواته، وعملياته، وكيفية تسلسلها وانتظامها، في ضوء محكات دقيقة وموثوق بها» (منصور، 2000-2001، 66)، وتسهم التغذية الراجعة العملية في الحفاظ على التطابق بين مستوى أداء الفرد في المهمة الموكلة إليه، وبين الخطوات والمراحل النموذجية المحددة لإنجاز هذا العمل، وذلك عن طريق إطلاع المتعلم بشكل مرحلي ومستمر على مدى انسجام استجابته أو تضاربها مع المعايير المحكمة التي يُقدَّرُ بالارتكاز على مبادئها المعيارية قيمة العمل المنجز.

### التوصيات:-

- ضرورة بناء منهج بحثي تربوي إسلامي ينشد النهوض بواجب الدراسات التأصيلية المقارنة من خلال توظيف جملة من المبادئ الراسخة والأساليب المتنوعة؛ وذلك بغية التعريف بأهم مبادئ التعلم وطرائق التعليم في السنة النبوية.
- استحداث أقسام متخصصة في التربية الإسلامية في كليات التربية تمنح درجات الإجازة والماجستير والدكتوراه في التربية الإسلامية يتصدى خريجوها الذين يجمعون بين التحصيل العلمي الشرعي والتربوي على السواء لمهام تبيان منهج الفكر التربوي الإسلامي في بناء الإنسان وتقديم الأوطان.
- تعميم تجربة الدراسة الحالية في التأصيل والمقارنة على ما تطالعنا به المدارس التربوية المعاصرة من نتاج معرفي؛ وذلك بهدف تحديد مكانته من منهج التربية الإسلامية.
- توظيف جهود بحثية تربوية منصفة من حيث الكم والنوع تسبر من جهة ما تضمنته الأدبيات التربوية الإسلامية من أفكار ومبادئ وطرائق وقيم في التربية والتعليم؛ وتعمل من جهة أخرى من أجل التعرف إلى أثرها في التحصيل المعرفي والتكوين القيمي للمتعلمين.

تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية

#### قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع الدينية<sup>(13)</sup>:

- 1- القرآن الكريم: تنزيل العزيز الرحيم.
- 2- البخاري، محمد بن إسماعيل (1993): صحيح البخاري، تحقيق (مصطفى البغا)، الطبعة الثانية، دار العلوم الإنسانية، دمشق.
- 3- البيهقي، أحمد بن حسين. (1985): دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق (عبد المعطي قلنجي)، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 4- الحلبي، محمد بن أمير الحاج (1999): التقرير والتحبير، تحقيق (عبد الله محمد عمر)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 5- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن. (2000): سنن الدارمي، تحقيق (حسين سليم الداراني)، الطبعة الأولى، دار المغني، الرياض.
- 6- الزحيلي، وهبة (2003): التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق.
- 7- السجستاني، أبو داود (1997): سنن أبو داود، تحقيق (عزت عبيد الدعاس وعادل السيد)، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت.
- 8- الشوكاني (د.ت): إرشاد الفحول، دار الكلم الطيب، دمشق.
- 9- القرطبي، محمد بن أحمد (1995): الجامع لأحكام القرآن، راجعه (صدقي محمد جميل) وخرّج أحاديثه (عرفان العشا)، دار الفكر، بيروت.
- 10- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل (2003): البداية والنهاية، تحقيق (عبد الله بن عبد المحسن التركي)، الطبعة الثانية، دار عالم الكتب، الرياض.
- 11- كنعان، عماد (2010): تقويم المسار؛ منهج تربوي قرآني وسياسة تعليمية نبوية، مجلة نهج الإسلام، العدد (177)، الصفحات (ص 25-27).
- 12- النّمري، يوسف بن عبد البر (1984): الدرر في اختصار المغازي والسير، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 13- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (1996): صحيح مسلم، تحقيق (محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، الرياض.

<sup>(13)</sup> تم إسقاط كلمة (ابن) و(أل) التعريف من ثبت الترتيب الهجائي للمصادر والمراجع.

## د. عماد كنعان

- 14- ابن هشام، عبد الملك (1978): السيرة النبوية، تحقيق (محمد السرجاني)، مكتبة التراث الإسلامي، حلب.
- ثانياً: المصادر والمراجع التربوية:
- 1- أبانمي: عبد المحسن (1994): فاعلية بعض أشكال التغذية الراجعة على رفع مستوى تحصيل الطلبة الدراسي، الطبعة الأولى، مطابع التقنية للأوفست، الرياض.
- 2- بلقيس، أحمد (1988): التغذية الراجعة وتطبيقاتها في تنظيم التعلم وترشيده، الرئاسة العامة لوكالة الغوث الدولية، عمان.
- 3- بروسيس، روجر (1999): فن إدارة الفصل الدراسي، ترجمة (حسين علي حسين)، الطبعة الأولى، دار المعرفة، الرياض.
- 4- الجيار، وفاء (2000): أثر استخدام التغذية الراجعة ووضوح الأهداف على الأداء والتحصيل وتنمية الميول العلمية في مادة العلوم لطالبات الصف الثاني المتوسط بالمدينة المنورة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الملك عبد العزيز، المدينة المنورة.
- 5 - الحربي، حامد (1997): التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ومناهجها من منظور التربية الإسلامية، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، السعودية.
- 6- حسن، حصه علي (2004): أثر التغذية الراجعة على التعلم بالإتقان والدافعية الداخلية لدى طالبات المرحلة الإعدادية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث التربوية، القاهرة.
- 7- خير الله، سيد محمد، والكناني، ممدوح (1983): سيكولوجية التعلم بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية، بيروت.
- 8- صوالحة، محمد أحمد (1985): أثر بعض استراتيجيات التغذية الراجعة في تعلم مفاهيم علمية لدى طلاب الصف السادس الابتدائي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد.
- 9- صوالحة، محمد أحمد (1990): علاقة مستوى مفهوم الذات وشكل التغذية الراجعة بفاعلية تعلم مفاهيم علمية لدى طلاب الصف الثاني الإعدادي في الأردن، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة.
- 10- طه، فرج، وآخرون (1993): موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، الطبعة الأولى، دار سعاد الصباح، الكويت.

تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية

11 - العبدلي، حسام (2008): أساليب التربية والتعليم من كتاب الله الكريم، الطبعة الأولى، دار النهضة، دمشق.

12 - عثمان، سيد، والشرقاوي، أنور (1977): التعلم وتطبيقاته، دار الثقافة، القاهرة.

13- العلي، صالح (2007): التربية الإسلامية، ماهيتها - مبادئ تعلمها - طرق تدريسها، دار الكلم الطيب، دمشق.

14- الغريب، رمزية (1967): التعلم - دراسة نفسية، تفسيرية، توجيهية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

15- القلا، فخر الدين (1993)، التغذية الراجعة في التعليم الصفّي، مجلة المعلم العربي، السنة السادسة والأربعين، العدد الأول، وزارة التربية، دمشق.

16- كنعان، عماد (2007): أثر بعض أنماط التغذية الراجعة في التحصيل والاتجاه، دراسة تجريبية على طلبة الصف الثامن للتعليم الأساسي في مدارس محافظة ريف دمشق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة دمشق.

17- مرعي، توفيق، والحيلة، محمد (1998): تفريد التعليم، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمان.

18- المقطري، أمين (1989): أثر بعض أنماط التغذية الراجعة على التحصيل في الرياضيات لدى طلاب الصف الثاني الإعدادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد.

19- منصور، علي (2000-2001): التعلم ونظرياته، منشورات جامعة دمشق، دمشق.

20- نشواتي، عبد المجيد (1984): علم النفس التربوي، الطبعة الثامنة، دار الفرقان، عمان.

21- يونس، محمد حسن (2002): فاعلية التعزيز الإيجابي والتغذية الراجعة في تصحيح أخطاء تعرّف الكلمات لدى الطلبة ذوي صعوبات التعلم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الأردنية، عمان.

ثالثاً: المصادر والمراجع الأجنبية:

1- Bergoh, Jerny (1981): **understanding educational measurement and Evaluation**, noughton mifflim company Boston, Dallas Gneva, illinois Hopewell, new Jrsy pallo- London.

2- Chaplin J. P. (1968): **Dictionary of psychology**, new York, Dell publishing.

- 3- Koka, A. Hein, V (2003): **perceptions of teacher's feedback and learning environment as predictors of intrinsic motivation in physical education university of tartu**, Estonia, vol Issue 4, p333, 14p.
- 4- Hilgarol, ernest, S. (1958): **theories of learning**, Stanford university, London.
- 5- Mowrer, Hobart (1960): **learning theory and the symbolic processes**, new York, John and sons, inc, London.
- 6- Ypsilanis, G. S. (2002): **feedback in distance education**, computer assiste language learning, vol. 15 Issue 2, p 167, 75 p.